الارض فقد كان الانسان الحجري يدفن بجانبه عدة حربه وجلاده اما الانسان البرنزي فصار يدفن بجانبه سيفاً مكسوراً او فاساً محطمة وذلك يدل على انهُ صار يعتقد ان الحياة التالية تختلف عن الحياة التي قضاها اختلافاً كلياً

اما تركيب الانسان الجسدي في العصرين الاولين فقد كان يختلف قليلاً عن تركيبه في وقتنا الحاضر وقد وجد العلماء بعد البحث الدقيق ان زاويتهُ الوجهية كانت غالباً اصغر من زاوية الانسان المتمدن الوجهية وان دماغهُ كان اصغر من دماغ الانسان في وقتنا الحاضر

وقد يتبادر الى الذهن ان هذه الاعصر الثلثة التي مرَّ الكلام عليها هي اعصر معينة معروفة بدايتها ونهايتها او يظن البعض ان الانسان الحجري والبرونزي انقرض منذ مدات طويلة من جميع اقسام الارض الاَّ ان ذلك ليس الواقع فطول تلك الاعصر غير معلوم وليس لها بداية معينة او نهاية معلومة ولا يبعد ان يوجد في عصر المتمدن هذا اناس لا يزالون في عصر الحجر او في عصر التوحش التام . ولما اكتشف خريستيفوروس كولمبس قارة اميركا منذ نحو ٤٠٠ سنة ودخل اليها الاوربيون وجدوا هنودها لا يزالون في عصر الحجر . ولما اكتشف الرواد الجغرافيون في هذا القرن اكثر جزر الباسيفيكي كان سكان بعضها في حالة التوحش التام يأكل بعضهم بعضاً . ومن يعلم ما ستظهر لنا الايام في اواسط افريقية ام العجائب والغرائب من الآثار والبقايا التي تحقق اقوال العلماء وآراءهم في مواضيع كهذه وتثبت بالبرهان ما لا يزال مشكوكاً فيهِ من احوال الانسان

تمدُّن الاحباش

ليس من ينكر ان بلاد الحبشة لم تزل بعيدة عن التمدُّن الاوربي واقتباس اساليبه لكن فوز الاحباش على الجنود الايطالية في واقعة العدوة اوهم كثيرين ان بلاد الحبشة على غير ما وصفها السياح الذين جالوا فيها وامتزجوا اهاليها. ولقد يتمنى الشرقي ان تكون في الاوج الاعلى من العمران حتى يقول انهُ بقيت في الشرق بقية من الرمق. لكن الاخبار التي اتصلت بنا حديثاً عن تلك البلاد من الذين اقاموا فيها مدة طويلة لا تبقي في جعبة الرجاء منزعاً وكنا نحسبها مبالغاً فيها الى ان اطلعنا الآن على مقالة لفيكونت ده بونسن الذي زار تلك البلاد واقام فيها اكثر سنة ١٨٩٧ وخمسة اشهر من سنة ١٨٩٨ فاذا وصفهُ لها ينطبق من وجوه كثيرة على ما وصفها لنا رجل من المصريين تردَّد عليها مراراً في السنوات الاخيرة. وفي

بحسب وصفهِ لا تزال غائصة في بحار الهمجية ولم تبلغ من الحضارة عشر معشار ما بلغتهُ مصر وبابل واشور وفينيقية في سالف عهدهن لا في السياسة ولا في العلم ولا في الصناعة ولا في الفلاحة ولا في عمل من الاعمال بل لم تبلغ ما بلغتهُ بلاد اليمن في العصور السالفة . ولا يفرق اهلها الآن عن سائر الزنوج سكان افريقية الاَّ في ان بلادهم جبلية باردة فاضطروا ان يلبسوا الثياب ويسكنوا البيوت لاتقاء البرد . ثم ان وعورة المسالك في بلادهم منعهم من الانتقال والامتزاج بغيرهم من الامم . وقد بلغ دعاة النصرانية بلادهم فتنصروا وفي ما سوى ذلك لم يتعلموا شيئاً مما عند الامم المتمدنة من اساليب الحضارة . واعتنق بعضهم الاسلام ومزجوا العقائد الاسلامية بالعقائد المسيحية مزجاً لكن الاسلام لم ينتشر في بلادهم انتشارهُ في غيرها من البلدان الافريقية

والظاهر ان اسم الحبشة مأخوذ من الحباشة وهي الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة لان الاحباش اقوام مختلفون تمنعهم طبيعة بلادهم من الامتزاج والاختلاط اذ تفصل بينهم جبال شاهقة واودية عميقة . ولكل قبيلة رئيس او رأس وقد استتب للنجاشي ملك التسلط على هؤلاء الرؤوس قوَّة واقتدارًا اي انهُ جعلهم يدفعون لهُ الجزية ولكنهُ لم يؤلف بينهم ولم يجعلهم على رأي واحد فاذا مات عادوا الى انقسامهم الاول بل هم الآن يطيعونهُ ظاهرًا ويضمرون العدوان باطنًا

قال الفيكونت ده بونسن كنت في شهر ابريل الماضي (سنة ١٨٩٨) آتيًا الى هرر من الصحراء فارسلت المكاريين امامي ليبتاعوا لي بعض اللوازم فذهبوا ولم يعودوا ولما وصلت الى هرر كان الراس مكنن غائبًا فعرضت الامر على نائبهِ واريتهُ كتابًا اعطانيهِ النجاشي بأمر فيهِ كل من يطلع عليهِ يساعدني فضحك وقال لا شأن عندنا لكتب النجاشي فتركتهُ وذهبت الى الشحنة واريتهُ الكتاب فقبله هو واتباعهُ ولم يلتفتوا اليهِ وكان هناك قاضيان فاكَّدا لي انهُ لا قيمة لمكاتيب النجاشي في هرر وانهُ لو كان المكتاب من الرأس مكنن لاهتموا بامري

وخلاصة ما اقولهُ عن بلاد الحبشة انها وعرة المسالك يسكنها اقوام من قبائل مختلفة شأنهم الغزو وشن الغارات ولا شيء عندهم من اساليب العمران لا فلاحة ولا صناعة ولا تجارة . وانما يروج في بلادهم بضائع غيرهم كالعاج والذهب والزباد والبن من بلاد الجلَّى وهي قليلة ولا يكون مقدارها واحدًا سنة بعد سنة . واذا اتجر الاوربيون فيها لم تكد تجارتهم تعود بالربح عليهم حتى يستولي النجاشي عليها . وقد فرض المكوس على البضائع الواردة الى بلادهِ بطريق هرر وجلدسا وتدشملكا واذا حاول التجار الذهاب بطريق الصحراء للتخلص من دفع المكوس على

بضائعهم اثار عليهم قبائل الشمال (السماي) فصدوا قوافلهم عن المسير كما فعلوا بقافلة المسيو لياوون التاجر الفرنسوي في الربيع الماضي ولم يكتفوا بصدها بل نهبوها وثبت انهُ كان معهم بنادق اعطاهم اياها الاحباش لهذه الغاية

واذا قصدت بلاد الاحباش وكان معك رجال منهم يسوقون دوابك اساؤا معاملتها جدًّا واذا انتهرتهم اجابوك ان البيض كلهم مجانين وهل بلغ من قدرهم ان يعلّوا الاحباش الذين قهروهم في واقعة العدوة . حتى اذا بلغتَ اولى ثغر من ثغور بلادهم حدُّدوا لك مكانًا تنزل فيهِ قافلتك وجاءك نفر من عساكرهم ودعاك رئيسهم لتذهب اليهِ معتذرًا عن المجيء اليك بمرضهِ او بكبر سنهِ او بعلو قدرهِ . وذلك حيلة منهُ لكي لا يتنازل الى زيارتك اولاً . و يذهب الذين سيقي خدمتك من الاحباش ويصفونك لهُ فان كنت تطلب منهم ان يحسنوا نصب خيمتك وتنظيف محلتك قالوا انك "كفو" اي شريف وان كنت تبيح لهم كل شيء قالوا انك "ملّيا" اي صالح وسواء كنت صالحًا او طالحًا فانت مكروهٌ لانك ابيض

قال لما وصلت الى جلدسا وهي بلدة صغيرة على حدود الحبشة مما يلي بلاد الشمال رفضتُ الذهاب لمقابلة حاكمها فاضطرَّ ان يأتي لمقابلتي فجاءني راكبًا على بغلة وهو طويل القامة كثير السمن وجاء وراءهُ نحو ثلاثين من رجالهِ حتى اذا دنا من خيمتي اطلق هؤلاء الرجال بنادقهم فخرجت للتلثم ولم اتمالك من الضحك حالما وقع نظري عليهِ وكان حافيًا في ساقيهِ جراح كثيرة وثيابهُ بيضاء وقد علاها الوسخ والقذر وعلى رأسهِ قبعة كبيرة وهي مما يباهي بهِ الاحباش . فدخل الخيمة وجلس وجعل يتخمّ ويتفل على الارض حتى ملأها بصاقًا وباغمًا فقلت للترجمان ان يخبرهُ ليكفَّ عن ذلك فجعل يقف ويتخمّ ويتفل من فوق رؤوس اتباعهِ وهم جلوس امام باب الخيمة . ثم جاؤوني بكيس من الذرة وخروف صغير هدية منهُ لي لكي اهدي اليهِ ما يزيد عليها اضعافًا على حد قولهم ان الحبشي يعطيك بيضةً ليأخذ منك ثورًا . ولما رأى انني لم اهدِ اليهِ شيئًا اشار الى بندقية من بنادقي وطلبها مني ولولا رجالي وكانوا من اهل الشمال لاخذ كل ما معي من البنادق . وسمعت رجالهُ يقولون حينئذٍ ان هذا الكلب لا يدعنا نأخذ شيئًا من اسلحتهِ . وأتي بالقهوة وقدمتُ لهُ السكاير واحدة واحدة ولو قدمت لهُ صندوقًا لاخذهُ ووضعهُ في جيبهِ . واخيرًا اعطيتهُ البندقية التي كنت قاصدًا ان اهديها اليهِ مع خرطوشها فطلب ان ازيدهُ من الخرطوش وقال انهُ يريد مسدَّسًا ولما قلت لهُ ان ليس معي مسدسات طلب زيادة من الخرطوش وسكينًا وسكاكر وكل ما يمكنني ان اعطيهُ اياهُ . ثم لما عاد الى بيتهِ

ارسل رسولاً يطلب كيس الذرة وجلد الخروف فقالت لهُ انا لم نذبح الخروف حتى الآن فقال اذن انتظرهُ وجلس عند باب الخيمة

اما النجاشي منليك فهو ابن حيلو ملكوت ملك شوى ويقول الاحباش ان نسبهُ متصل من جهة امهِ بسليمان الملك وملكة سبا ويلقَّب بمنلك الثاني الاسد الظافر من سبط يهوذا ملك ملوك الحبشة نائب الله . ولا شبهة في انهُ نجاشي الحبشة الآن وفي انهُ ارتقى بسالتهِ وسياستهِ الى اعظم منصب في بلاد الاحباش وتوسَّد هذا المنصب وذاق ما يحفُّ بهِ من الصعاب جاريًا في خطة من تقدَّمهُ من الملوك وهو يعلم حق العلم انهُ ملك ملوك الحبشة لا ملك بلاد الحبشة وان سلطانهُ عليهم لا تنتقل الى اعقابهِ وقد لا تدوم لهُ مدى حياتهِ ولذلك تراهُ يبذل جهدهُ في تعزيزها بإضعاف قوة خصومهِ او اندادهِ حتى لا يتحالفوا عليهِ

وكان في اول امرهِ يتودَّد الى الاوربيين ويعجب بما عندهم حتى ان اول قالب من السكر أُهدي اليهِ ادهشهُ وسرَّهُ سرورًا لا مزيد عليهِ . ولم يزل حتى الآن ينتظر الهدايا بفروغ صبر وقد يرى بنفسهِ ما في صناديق السياح الذين يزورن بعاصمتهِ حتى اذا وجد فيها شيئًا اعجبهُ اخذهُ . وقد قال مرارًا "لو لم اكن ملكًا لوددت ان اكون في بيت الكوس" ليرى اشكال الامتعة . ويحب ان يرى الآلات الجديدة فاذا أُهديت اليهِ ساعة فكَّها ليرى آلاتها المختلفة. وقد طلب مني مرة بعض الجوارب ثم مرَّ بعاصمتهِ نفر من المرسلين فاخذ منهم جواربهم . اما الآن فلم يعد يرضى الاَّ بانفر الهدايا واثمنها والله يعلم ما يفعل بها . فقد قيل لي ان ملكًا من ملوك اوربا اهدى اليهِ آنية المائدة من الفضة فسبكها دروعًا وجعل الثورية خوذة لواحد من جنودهِ . واهديتُ اليهِ مرة بندقية تطلق اثني عشر طلقًا ثمنها ٥٥ جنيهًا فطلب مني بندقية اخرى كنت اصيد بها الافيال

والذين عاشروهُ طويلاً يقولون انهُ على جانب عظيم من الذكاء المفرط والحنكة السياسية ولكنهُ يمزج ذلك احيانًا باخلاق لا يتخلق بها الاَّ صغار التجار

وقد كنت حاضرًا في مجلسهِ لما قابل المستر رنل رود فانهُ ارسل يدعو كل الاوربيين الذين في عاصمتهِ ادس ابابا ليحضروا مجلسهُ فيرى الوفد الانكليزي ان عندهُ رجالاً مثلهم . وقام في الصباح واقبل الى المجلس وكان منتعلاً حذاء اصفر ضيقًا على قدميهِ فترك شراكهُ محلولاً ولما جلس على العرش تقدم احد رجالهِ ونزع الحذاء والجورب من رجليهِ ووضعهما تحت ابطهِ ووقف بجانبهِ . ثم نادى (منلك) فيصمت الحضور كلهم لكي يطردوا الشيطان. وطال انتظارهُ حتى فرغ صبرهُ حاسبًا ان الوفد عاملهُ كما يعامل هو غيرهُ من الذين يملي عليهم

كبيرًا . ثم وصل الوفد بموكب حافل جدًّا فالدهش مما فيهِ من دلائل العظمة ولكنهُ سرَّ بهِ حاسبًا انهُ اتمًّا اتى بهذهِ الاهبَّة اكرامًا لهُ

وهو حسن الحاضرة دقيق الانتقاد قال لي مرة ان يشوخ بن نون لا يمكن ان يكون قد اوقف الشمس ولم تكن الساعات معروفة حينئذٍ ليعلم منها وقوف الشمس لو كان حقيقيًّا والمرجع عندي انهُ استطال الوقت فجرًّا فظن ان الشمس وقفت في السماء

وهو اذكى الاحباش الذين رأيتهم فؤادًا واميلهم الى اقتباس التمدُّن الاوربي. ولا اظنهُ يحب الاوربيين لكنهُ يعلم ان مصلحتهُ تقتضي استخدامهم ولولا كراهة قومهِ لم لاكثر منهم بين رجالهِ لكن قومهُ يكرهون الاوربيين كرهًا شديدًا ويودون استئصالهم . وقد انتبس من الاوربيين استعمال السكة والتلفون وطوابع البريد لكن النقود التي سكَّها غير رائجة في بلادهِ والتلفون مدَّت اسلاكهُ لتكون مجاثم للطيور وطوابع البريد انما تباع للغواة في جمع الطوابع . وعندهُ رجل اسمهُ جبريل يطبع الرسائل بطابع من الكاوتشوك ويسمي نفسهُ وزير البوسطة والتلغراف . اما دعائم التمدن الحقيقي التي هي تنظيم احوال البلاد المدنية والحربية والتجارية والصناعية فلم يدخل منها شيء الى بلاد الاحباش حتى الآن

ولا عبرة بتغلب الاحباش على الجنود الايطالية في واقعة العدوة لانهم فاجأوها مفاجأة في مكان وعر شديد التحدُّر وكانوا ثلاثة اضعافها عدًّا وفوزهم عليها انسامم واقعة بجدلا التي قُتل فيها ملكهم تيودورس وحقق نفوذ الاوربيين من بلادهم وزاد في خيلائهم حتى صار اقتباسهم العمران الاوربي ضربًا من المحال ولو بذل النجاشي منلك كل جهدهِ في اقتباسهِ

والحبشي جبان بالطبع اذا كان وحدهُ واما اذا اجتمع الاحباش جماعة فهم شجعان بواسل. وجيرانهم اهالي الشمال واهالي الجلّى اشجع منهم ولو لم تكن عندهم اسلحة نارية مثلهم . ومنذ ثلاث سنوات بيَّت الشماليون جنود الراس مكنن وكانوا ستة آلاف مسلحين بالبنادق والشماليون مسلحون بالرماح فانحن الشماليون فيهم وقتلوا منهم ثلاثة آلاف . وسنة ١٨٩٦ هجم رماحة الجلى على ١٨ الفًا من جنود الاحباش فقهروهم وهجموا في السنة التالية على ٢٠ الفًا فانحنوا فيهم ثم انهزموا من امام ٢٤ الفًا لانهم كانوا متعبين جدًّا

وحروب الاحباش غارات يقصد بها النهب والسلب في الغالب ويذهبون الى الحرب كلهم بنسائهم وذرايهم واذا مرُّوا في بلادٍ انتهموا كل ما فيها ولهم طاقة شديدة على احتمال الجوع والتعب وشظف العيش

هذه خلاصة ما كتبهُ الكونت ده برلس ويظهر لنا مما كتبهُ غيرهُ من الذين دخلوا تلك

البلاد انهُ جار في حكمهِ وانهُ لا يتعدَّ رعي الاحباش اقتباس كثير من حسنات التمدُّن الاوربي بعد زمن غير طويل اذا اخلص الاوربيون لهم النصح وبذلوا بعض الهمَّة في تعليمهم ولم يتحمعوا في الاستيلاء على بلادهم

تركيب الغذاء بالكيمياء

بقلم سليم سكاريوس من مقالة للبرنس كروبتكن في مجلة القرن التاسع عشر

كان لا فوازيه ابو الكيمياء الحديثة يقول ان غرض الكيمياء حل الاجسام الى عناصرها وامتحان كل عنصر منها على حدة . ولكن الذين جاؤوا بعدهُ من الكيماويين رأَوا شيئاً فشيئاً ان غرض الكيمياء لا يحصر في التحليل بل يتناول ضم العناصر بعضها الى بعض بحيث تتألف منها الاجسام التي عُرف تركيبها بالتحليل . وكان اشتغالهم بالتركيب مقتصراً في بادىء الامر على الاجسام غير الآلية كتركيب الماء مثلاً من الاكسجين والهيدروجين لاعتقادهم ان تركيب الاجسام الآلية لا يتم الاَّ بقوة حيوية وذلك مما لا سبيل للبشر اليهِ . وظلوا على هذا الاعتقاد الى ان قام وهلر الكيماوي الالماني سنة ١٨٢٨ وركب جسماً آليًّا معروفاً من مواد غير آلية فبدَّد اوهامهم وفتح قيودهم وفتح لهم باباً واسعاً للبحث واستجلاء اسرار الطبيعة . وتبعهُ العلاَّمتان ليبغ الالماني وفرنكلند الانكليزي فركَّبوا اجساماً آلية اخرى . وسنة ١٨٦٠ نشر برتلو الكيماوي الفرنسوي الشهير مؤلفهُ العظيم في الكيمياء الآلية من حيث تركيب المواد فحثَّ على الجري في هذا السبيل وبيَّن انهُ يمكن ان يوجد اسلوب لتركيب كل الاجسام الآلية فتقدَّم هذا الفرع من الكيمياء تقدماً عظيماً من ذلك الوقت الى اليوم وكثر عدد المركبات الآلية التي صنعها الكيماويون من العناصر البسيطة وصار جانب منها من جملة البضائع التجارية كبعض الحوامض والزيوت وما شاكل . ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل حاولوا صنع طعام يعاش بهِ الانسان عن اكل الحم والنبات فاستلبَّ لهم استحضار بعض المواد الغذائية كالسكر والدهن ولكن اعياهم تركيب الاليومن او البروتيد وهو الذي يدخل في بناء كل الاجسام الحية ولا يزالون يواصلون البحث في خصائصهِ والسعي في ايجاد طريقة لتركيبهِ من العناصر البسيطة والامل كل الامل ان سعيهم هذا يكلل بالنجاح فاذا ظفروا بذلك فقد خطوا الخطوة الكبرى في تدبير الطعام من الجماد وخدموا نوع الانسان خدمة لا تقدر قيمتها ولا تحصر منافعها